

المخطوطات الإسلامية مصدراً مهما في دراسات المستشرقين للتاريخ الإسلامي

أ.د. حاتم كريم اليعقوبي
كلية الآداب-جامعة الكوفة

الكلمات المفتاحية: المخطوطات. الإسلام، المستشرقين، التراث، التاريخ

الملخص:

للمخطوطات الإسلامية أهمية كبيرة في حفظ التراث الاسلامي لما حوته من معلومات قيمة حملت بين ثناياها أنواع المعارف والعلوم الإسلامية فتميزت باصالتها وقربها من الحدث التاريخي مما دفع الباحثين المسلمين وغيرهم من ألأوربيين الى الأهتمام بدراسة تلك المخطوطات للتعرف على اسباب تقدم ونهوض المسلمين وسر قوتهم التي أوصلتهم الى مشارف أوربا .

كان للمستشرقين دور كبير في ظهور الكثير من المخطوطات الإسلامية الى حيز البحث والتحقيق نتيجة لوجود تلك المخطوطات في مكتباتهم بعد أن حصلوا عليها بطرق مختلفة كما سنرى ذلك من خلال هذا البحث ان شاء الله.

انطلاقا من هذه الأهمية ارتأى الباحث اختيار هذا البحث الموسوم (**المخطوطات الاسلامية مصدرا مهما في راسات المستشرقين للتاريخ الإسلامي**).

خطة البحث :-

- المحور الأول : بواكير اهتمام المستشرقين والمؤرخين المسلمين بالمخطوطات.
- المحور الثاني : طرق حصول المستشرقين على المخطوطات الإسلامية.
- مناهج المستشرقين في تحقيق المخطوطات الاسلامية ودراسة التاريخ ألإسلامي.

أهداف البحث :-

يهدف البحث الى ابراز جهود المستشرقين في حفظ جزء مهم من تاريخ المسلمين ألا وهو المخطوطات، وهنا تكمن صعوبة البحث في تعامل المستشرقين مع تلك المخطوطات

والعقبات التي واجهتهم متمثلة بنوع الخط المستخدم وقم المخطوطة والى اي عصر تنتسب، فلا يمكن لاي باحث من تحقيق اي مخطوطة ما لم يعرف نوع الخط والحقبة الزمنية التي كتبت في المخطوطة وكذلك نوع الحبر والورق المستخدم.

فلو تتبعنا جهود المستشرقين في هذا المجال لوجنا ان القرن السابع الميلادي/ الأول الهجري قد شهد جميع المستشرقين للمخطوطات ونقلها الى اوربا ومن ثم القيام بحفظها وفهرستها وتحقيقها ونشرها . وكان هذا العمل مبنياً على معرفة تامة بقيمة تلك المخطوطات وأهميتها وتنوع معارفها وغزارة معلوماتها.

كانت اوربا ترسل مبعوثيها لشراء المخطوطات من الشرق وخير مثال على ذلك عندما ارسل (فردريش الرابع) ملك بروسيا شخصا يدعى (ريتشارد ليبسيوس) الى مصر عام 1842م ، وهيرتش بترمان في تاريخ سابق لذلك وهو عام 1825م الى الشرق لشراء المخطوطات، وتم جمعها بطرق مشروعة واخرى غير مشروعة، وتم التعامل مع تلك الوثائق بمهنية وحرفية واعتناء وفهرسة مميزة والحفاظ عليها من التلف ومعالجة ماهو تالف منها.

لقد كان البابا نيقولا الثاني مهتماً بجمع الكتب الاسلامية وهو الذي بعث اشخاصاً من قبله لجمع الكتب والمخطوطات من أماكن مختلفة في المشرق ورجع أحد مبعوثيه من ألأندلس بحصان محملاً بالكتب الإسلامية، وكان المستشرق ويد ماترنز قد باع ما جمعه من مخطوطات وكتب بلغت أحد عشر مجلداً لدوق بروسيا عام 1558م، وويلهم بوستل الذي كان يمر بضائقة مالية جعلته يفرط بما جمعه من مخطوطات وبيعها الى مكتبة هايرلبرج ثم صارت تلك المخطوطات مرجعاً رئيسياً في دراسات المستشرقين الألمان، وأوصى يوكهارت بما جمعه من مخطوطات لجامعة كامبردج، واشترت مكتبة برلين من البروفسور هايزش بترمان حوالي الف مخطوط، وجلب القنصل البروسي في دمشق لتلك المكتبة الفي مخطوط، وكان للمستشرقين طرق متعددة في الحصول على المخطوطات سنذكرها في البحث ان شاء الله.

لقد استعان المستشرقون في عملية ترجمة المخطوطات والكتب الاسلامية بعدد من اللغويين المسيحيين الشرقيين أو محليين قد اعتنقوا الدين الإسلامي ، وكانوا يقمون الترجمة بالمعنى وحسب، ولما كانوا هؤلاء الشخاص غير متمرسين وغير متضلعين باللاتينية، فق استوجب نقل مضمون ترجمتهم الى اللهجة الرومانية الدارجة أولا، ومن ثم الى اللاتينية الفصحى قبل ان يصار الى الترجمة النهائية للنص.

بعد ذلك دخلت الترجمة مرحلة متطورة بانشاء كراسي لتدريس اللغات الشرقية والدب العربي وادخلوا في الأقسام التي تعني بدراسة التراث العربي وظيفة (قاريء نصوص) الى جانب الاساتذة والمحاضرين سنذكر بعضهم من خلال البحث.

المحور الأول :- بواكير الأهتمام بالمخطوطات عند المسلمين والمستشرقين

مما لاشك فيه أن المخطوطات الإسلامية قد شكلت أُس التراث الإسلامي ومادته الأصلية في مختلف العلوم والفنون التطبيقية والإنسانية مما دفع بالباحثين الى التحري عن هذه المخطوطات بشتى الطرق والأساليب وشغلت حيزاً كبيراً في المكتبات الإسلامية والأوربية، وقُدّر عددها بثلاثة ملايين مخطوط على وفق ما ذكره تقرير معهد المخطوطات العربية.(1)

من الأسباب المباشرة التي أدت الى وصول عدد كبير من المخطوطات الإسلامية الى اوربا هو توسع الفتوحات الإسلامية ووصولها الى الأندلس ومشارف الصين مما يشكل حافزاً للمستشرقين لدراسة هذه المخطوطات وتحقيقها .

يُذكر ان مصطلح التحقيق لم يكن معروفاً عند المسلمين وانما ظهر في القرن الخامس عشر الميلادي ونشا وترعرع في اوربا على يد عدد من المستشرقين الذين تولوا نشر الكتب اليونانية القديمة متجاهلين حدود علماء المسلمين فبل ذلك التاريخ والسبب في ذلك يعود الى ربطهم علم التحقيق بمصطلح التحقيق الذي بثوه قبل المسلمين، مما دفعهم الى التغاضي عن الجهود المضنية التي بذلها هؤلاء في مجال الاهتمام بالمخطوطات من ضبط ومعالجة والحفاظ عليها من آفات التغيير والتبديل، والعبرة بحقيقة الشيء لا بالمسمى، كما قيل من قبل : ((لا مشاحاة في الإصطلاح)).(2)

ولم تظهر الأصول والقواعد النظرية في تحقيق النصوص المخطوطة عند الاوربيين الا في اواسط القرن التاسع عشر ، وذلك بوضعهم للاصول النظرية العلمية لتنظيم العمل في النص المخطوط للوصول به الى اصله الصحيح بعيداً عن الخطأ وهو ما سمي عندهم حينها بـ (text criticism) .(3)

بينما نجد كلمة تحقيق ومهام المحقق قد وردت في المصنفات الاسلامية في وقت سابق للاوربيين حينما اطلقت على العالم المدقق في الكتب المعتني بتمحيصها ، اذ كان يسمى ((مُحقاً)) قال الجاحظ : ((لم يخلُ زمن من الازمان فيما مضى من القرون الذاهبة الا وفيه علماء محقون قرأوا كتب من تقدمهم ودارسوا أهلها، ومارسوا الموافقين لهم، وأعانوا

المخالفين لهم، فمخضوا الحكمة وعجموا عيدانها، ووقفوا على حدود العلوم فحفظوا الأمهات والأصول وعرفوا الشرائع والفروع ، ففرقوا بين الاشياء والنظائر)). (4)

وقد وردت أمثلة كثيرة على ذلك في كتب علماء الحديث حول ورود كثير من الاصطلاحات والمفاهيم المتعلقة بالتحقيق، تطابقت مع مناهج تحقيق المخطوطات من نسخ ومعالجة النص وضبطه في وقتنا الحاضر. (5)

وأصل التحقيق في اللغة هو اثبات الحق ويطلق على التصديق واحكام الشيء وكل معاني التحقيق تؤدي الى طريق واحد، وهو الكشف عن الحقيقة ، والتحقيق عند أرباب التأليف وذوي الاختصاص هو فن عرض النص وكشف كوامنه وإحكام مادة المخطوط حتى يثبت اصالته وعدم التلاعب به لكي يتم الاطمئنان للمادة الموجودة وتطابقها مع الحقائق التاريخية . (6)

ويقتضي على المحقق ان يمتلك موهبة فنية وعلوم متنوعة تتعلق بكيفية حساب الازمنة والتواريخ ونوع الخط والنص وسمات كل العصور واسماء الأماكن ومواقعها. (7)

وبخلاف ذلك يكمن الشك والريبة في كل ما يكتب ومن الممكن ان تبنى أحكاماً غير موثوق منها تفضي الى خلافات، كما يحدث في الأمور الاعتقادية والمذهبية وتتحول في النهاية الى صراعات مجتمعية.

وكان عدد المخطوطات العربية التي وصلت الى اوربا بطرق متعددة من الشرق قد ازداد بصورة ملحوظة في القرن التاسع عشر ، مما حفزّ المستشرقين الى تبويبها وعمل فهارس لها ومن ثم بعد ذلك نشرها، وقد احتل مكانة بارزة في ذلك المستعرب الألماني فرديناند فستنفلد الذي درس اللغات الساميّة بجامعتي جوتنجن وبرلين، وركز في عمله على ابراز ونشر الاصول العربية لعدد من المصنفات الهامة في ميداني التاريخ والجغرافية، وكان أول ممن اشتغل بالفهارس المفصلة مما سهّل مهمة الباحثين الذين جاؤا من بعده، اضافة الى ذلك ترجم لعدد من الشخصيات والاماكن مُشيراً في ذلك الى مصادرها الأُم. (8)

وفي مجال التاريخ فقد نشر سيرة ابن هشام ت 218 ه التي أخذها من ابن اسحاق (ت:151ه) في جزئين في عامي 1858 و 1860م ، ونشر تاريخ مكة أيضاً ووفيات الأعيان لابن خلكان (ت680ه) ، وبعض مصنفات المقريزي

أما في مجال الجغرافيا فقد اخرج لنا فستنفلد كتاباً في غاية الأهمية وهو (معجم البلدان) لياقوت الحموي (ت626ه) باجزائه الستة في حينه للمدة من (1866-1873م). (9)

وقام بعمل آخر مهم في حقل الجغرافيا وهو نشره كتاب: ((معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع))، الذي انصبت معظم مادته ان لم تكن كلها على الجزيرة العربية بوجه خاص، فذكر أسماء المواضع الواردة في القرآن الكريم والحديث والشعر الجاهلي ومغازي الرسول (ص)، ولهذا السبب قدم لمعجمه بمقدمة طويلة تعالج الكلام على حدود الجزيرة العربية ومناطقها ، ونواحيها مثل الحجاز وتهامة واليمن في القسم الثاني من المقدمة عالج موضوع القبائل المستوطنة في الجزيرة وعن ترحالها، وقد قابل معجمه قبل نشره مع المخطوطات المختلفة الموجودة في مكتبات ليدن وكمبرج ولندن وميلان، واستخلص من هذه النسخ الأربع صورة كتبها بيده ونشرها في طبعة حجرية في مجلدين كبيرين من القطع المتوسط، بلغ مجموع صفحاتها مع المقدمة والفهرس أكثر من تسعمائة صفحة، صدر المجلد الأول منها عام (1876م) وتلاه الثاني عام (1877م).

غير ان النسخ التي اعتمدها فستنفلد لم تكن افضل النسخ، وهذا ما اكتشفه العلامة المصري مصطفى السقا ، فتتبع مخطوطاته بمصر حتى عثر على ثلاثة نسخ ، اثنين بدار الكتب المصرية والثالثة بمكتبة الأزهر، واتضح له بعد الدراسة انها اقدم زمناً واحسن ضبطاً وأتم تفصيلاً من النسخ التي اعتمدها فستنفلد . [10]

ومن الجهود المبكرة للمستشرقين في مجال تحقيق المخطوطات ما قام به المستشرق سلفستر دي ساسي (Sacy silvester De) (1758-1838م) ، الذي لُقب بأبي المستشرقين، فقد قام بتحقيق مقامات الحريري وكليلة ودمنة وغيرهما ،وكان له دور في ترجمة عن الاحتلال الفرنسي للجزائر والحملة الفرنسية على مصر. [11]

واحتلت المدرسة الالمانية مكانة متميزة من بين المدارس الاستشراقية الاخرى في تحقيق المخطوطات على الرغم من دورها المتأخر ، فقد كان بروكلمان أحد رواد هذه المدرسة وأتجه الى التعامل مع التراث الاسلامي المخطوط وهو مؤلف تاريخ الأدب العربي ، وغوستاف باين الذي قام بنشر شرح المفصل لابن يعيش سنة 1882م ، كما قام بترجمة كتاب سيبويه الى الالمانية. [12]

ونشر غوستاف برخ فلوجل (1802-1870م) فهرس المخطوطات العربية والفارسية والتركية والسريانية والحبشية الموجودة في مكتبة القصر في ميونخ وحقق اكثر الكتب ذا فائدة في فروع العلوم الاسلامية الا وهو ((كشف الظنون في اسامي الفنون))، وقضى أحد عشر عاماً من اجل تحقيق عنوانات الكتب بالاعتماد على مخطوطات فينا وباريس وبرلين. [13]

أما شاخت (1902-1969م) فقد كتب في علم الكلام والفقه الاسلامي والفلسفة، وأخذ على عاتقه تحقيق عدد من المخطوطات الموجودة في اسطنبول والقاهرة وأماكن اخرى، ومن اعماله الفلسفية مخطوط ((مناظرة طبية فلسفية بين ابن بطلان البغدادي وابن رضوان المصري)) و ((موسى بن ميمون في مواجهة جالينوس عام 1935م)).[14]

أما هلموت رتر (1892-1972م) فقد كان مديراً لفرع الجمعية الشرقية الألمانية في اسطنبول، واشرف على تحقيق مجموعة من المخطوطات العربية والتركية والفارسية، فاصدر مقالات الأسلاميين (1929-1933م)، وفرق الشيعة عام 1931م، واشترك في نشر رسالة الكندي (دفع الاحزان) عام 1938م.

يُذكر أن الالمان لم يشتركوا في مجال البحث عن احوال الشرق والاهتمام بتراثهم الا بعد ان توغل العثمانيون في اوربا في الوقت الذي بدأت فيه بالاهتمام بدراسة لغات العالم الاسلامي لاسباب سياسية بالدرجة الاولى، فقام امراء المسيح بشراء المخطوطات الشرقية لغرض دراسة تلك اللغات مما حفّز كريستمان (1554-1603م) في أول محاولة في المانيا لتدريس اللغة العربية ونشرها ، ووضع فهرساً مختصراً لمجموعة من المخطوطات اقتناها أحد النبلاء الألمان ، كذلك ألف كتيباً لتعليم كتابة الحروف العربية وقام بجمع بعض آيات الأنجيل المترجمة الى العربية للتمرن على القراءة واقدم على جعل الحروف العربية على هيأة قوالب من الخشب للمطبعة.[15]

وفي سياق الحديث عن أسبقية العرب في مجال الأهتمام بالمخطوطات ذكر المستشرق برجستراسر بأن علماء الاسلام قد سبقوا غيرهم في وضع ضوابط التحقيق واهتمامهم بهذا الأمر والعناية به وبقيمة النسخ ومراتبها، حيث قال:((وكان كتاب المسلمين يشيرون غالباً الى وجود نسخ المخطوطات التي كتبت بخط مشاهير المؤلفين في أماكن بعينها، وقد بقي عدد لاباس به من أمثال هذه المخطوطات التي كتب بخط مؤلفيها الى يومنا هذا)).[16] وقال في موضع آخر : ((ومن المرجح ان علماء العرب كانوا أكثر تقديراً لقيمة المخطوطات المكتوبة بخط مؤلفيها من علماء الغرب)).[17]

ومن اقدم الدراسات الاستشراقية عن السيرة النبوية هو كتاب (محمد) الذي ألفه القسيس (اسكندر ديتوت) عام (656هـ/1258م) بالتزامن مع سقوط الخلافة العباسية، وكتب (ثورميدا) كتاباً تحت عنوان (النبوءات) الذي حوى جانباً من الأخبار المتعلقة بالسيرة النبوية.[18]

ومن الأعمال الاخرى ما قام به المستشرق البريطاني (جات غانيه) من ترجمة للسيرة النبوية منقول عن (تاريخ ابي الفداء) الى اللاتينية ونشرها في اكسفورد سنة 1134هـ/1722م ، وقام المستشرق الهولندي (دي يونغ) بنشر سيرة ابن هشام مع ترجمة لاتينية في ليدن سنة 1865م.[19]

المحور الثاني :- طرق جمع المستشرقين للمخطوطات والحصول عليها.

تعددت طرق حصول المستشرقين على المخطوطات الاسلامية ، فتارة نجد أنهم قد حصلوا عليها نتيجة لخطوات مشروعة عن طريق البعثات التي أرسلت الى البلدان العربية، بدفع من رجال الدين في الكنيسة ، وكانت اول محاولة في فرنسا عام (1787م) وتحت اشراف وزارة المستعمرات وحرص ملوك فرنسا على ارسال سفراء رسميين لهذا الغرض وبذلك بلغ عدد الكتب والمخطوطات مجتمعة قرابة ستة ملايين، منها سبعة الاف مخطط عربي متنوعة، ضمتها مكتبة باريس وحدها التي اشرف عليها مستشرقون سبق وان ارسلهم الوزير (كولبير) الى الشرق في عهد الملك لويس الرابع عشر وتارة عن طريق العمل العسكري متمثلاً بما أرسله نابليون من مخطوطات وكتب اثناء حملته على مصر ، وما ابتاعه قنصل فرنسا في القاهرة، واشتمل على نماذج وقطع من القرآن الكريم مكتوبة على الرق تعود الى القرنين الثاني والثالث والرابع للهجرة.[20]

ومن الطرق الاخرى التي اتبعها المستشرقون في اقتناء المخطوطات الاسلامية هي الشراء، فقد ارسل ملك فرنسا فرانس الأول المبشر فلهم بوستل الى الشرق ليشتري المخطوطات العربية وكتب مهمة لغرض التعمق في معرفة روح الاسلام ، وكان ذلك في سنة 1534م.[21]

كذلك استغل المستشرقون الظروف التي لحقت ببلاد المسلمين كالمجاعة التي حدثت في القرن الثالث عشر الهجري/ السابع الميلادي، واستغلالهم لظروف الحاجة والفاقة التي مر بها المسلمون فاقدموا على شراء المخطوطات منهم باسعار زهيدة وحملوها بسفن كانت مليئة بالمخطوطات ، واصبح هناك في اوربا اسواق متخصصة في بيع المخطوطات.[22]

كانت مراكز التواصل بين اوربا والدويلات الاسلامية عديدة، اهمها صقلية والاندلس وبالاقصى في طليطلة بعد أن ضمها الاسبان المسيحيون بهم عام 1085م ، أما صقلية بعدما ضمها المسلمون عام 965م، ثم استعادها النورمان عام 1091م فاصبح هناك تبادل ثقافي بين المسلمين والنورمان برعاية الحكام من أمثال روجر الثاني ملك صقلية، الذي كان يعمل

في بلاطه شعراء وعلماء، مما دعاه الى تكليف الأدريسي (ت:559هـ) بتأليف كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق واهداءه له ويعد هذا المخطوط من أهم المخطوطات الجغرافية في العصر الوسيط.[23]

لقد بنى المسلمون في صقلية حضارة راقية ذات معالم بارزة، فكراً وعلوماً وزراعة واقتصاد وخلفهم في ذلك النورمان، فاتبعوا نهج المسلمين بالاهتمام بالادب واخذوا يترجمون الكتب من العربية الى اللاتينية واهتموا بالمخطوطات.[24]

وكانت الحروب الصليبية من بين أهم الوسائل التي استطاع الاوربيون بواسطتها من الحصول على المخطوطات الاسلامية عن طريق حملاتهم العسكرية المتعدة والاستيلاء على عد كبير منها بالقوة أو عن طريق الاغراء بالمال.

وهناك عامل آخر هو ارسال البعثات العلمية لغرض طاب العلم من امثال ادلارد اوف باث وقسطنطين الافريقي واسماء اخرى وتكليفهم بالحصول على عدد من المخطوطات أما عن طريق اهدائها لهم أو شراؤها بمبالغ مدفوعة لهم من قبل ملوكهم.

وعلى هذا ألاساس ظهر طور جديد من الاستشراق من خلال الاستيلاء على المزيد من التراث الاسلامي وكنوزه المخطوطة وتضاعفت جهود النصارى في الغرب لغرض ترجمة هذا التراث الى لغاتهم.[25]

وفي القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي التالي لعصر قرطبة الذهبي المتزامن مع عهد ملوك الطوائف سعى الفرنسيون الى اللحاق باسلافهم الاوربيين والوصول الى الاندلس الاسلامية لدراسة العلوم والمعارف والفنون ، وكانت الوفود تقصد غرناطة واشبيلية ومدن اخرى لغرض ان تنهل من الحضارة الاسلامية وتقاليدها وثقافتها الى الحد الذي جعل بعضهم يعتنق الاسلام وفضل البقاء في ديار الاسلام.[26]

ومن المؤكد ان من عاد منهم الى فرنسا قد اقتنى من مخطوطاتها ما تيسر له منها كهدايا أو عن طريق الشراء، وتحولت هذه المخطوطات بمرور الوقت الى كتب مطبوعة استفاد منها المسلمون في مختلف العلوم.

خير مثال على ذلك ما قام به الملك الفرنسي فرانسوا الأول الذي حكم من سنة 921هـ-954هـ/1515م-1547م، فبعد أن تاثر هذا الملك بمبادئ النزعة الانسانية في عصره وأدرك قيمة العلاقات الثقافية مع الشرق قام بارسال مبعوثين من بينهم المستشرق فيليوم بوستل (911-989هـ) والحقه في السفارة الفرنسية في تركيا وطلب منه شراء كل ما يستطيع

من مخطوطات شرقية سنة 941هـ/1534م ودوّن بوستل بدقة الاختلافات العرقية والدينية والسياسية التي تغمر الدولة العثمانية بعد ان جعل اهتمامه ينصب في دراسة اللغة العربية فتعلمها على يد أحد المسلمين العثمانيين.[27]

المحور الثالث :- مناهج المستشرقين في دراستهم للمخطوطات الاسلامية.

سلك المستشرقون طرقاً واساليباً متنوعة في دراستهم للتراث الإسلامي بعلومه المختلفة دفعهم الى ذلك عوامل متعددة ، وعلى الرغم من وقوف بعض الباحثين المسلمين على تلك الاسباب واتخاذهم أحكاماً مختلفة بحق المستشرقين الا ان التقييم المنطقي لجهودهم في مجال دراسة المخطوطات وما آلت اليه من نتائج تسجل وبوضوح الدور الذي اضطلع به هؤلاء في الحفاظ على جزء مهم من تراث المسلمين والاستفادة منه ، وبذلوا جهوداً كبيرة في ظهور ما اكتنزته تلك المخطوطات الى حيز الوجود وتحولت بتلك الجهود الى كتب لها قيمة علمية ومعتمدة في الدراسات الاسلامية.

من بين المناهج التي اعتمدها المستشرقون، منهج اسقاط الأحكام المسبقة المترسخة في اذهانهم نتيجة لاسباب دينية أو اجتماعية أو اقتصادية على الروايات الإسلامية دون ان يكون لتلك الأحكام أي واقع في الأحداث الجارية في حينها.

على سبيل المثال لا الحصر ما حدث مع المسلمين في الهجرة الى الحبشة، اذ أرجعوا ذلك الى هدف المسلمين بتكوين قوة وقاعدة ينطلقون منها لايقاف تجارة قريش بتحويل طرق سير القوافل الى طرق بديلة عن مكة.[28]

وهذا التفسير المادي لحدث الهجرة من منطلق استشراقي قد ذهب اليه مونتغري وات (Montgomery Watt) لغرض الابتعاد عن السبب الحقيقي الا وهو حجم المعاناة التي تعرض لها النبي محمد (ص) واتباعه في مكة.

وفي السياق نفسه نجد ان (وات) قد جعل من اعتزال النبي محمد (ص) الناس والذهاب الى غار حراء فرصة لايهام القاريء بان السبب في ذلك هو الفرار من حر مكة في فصل الصيف.[29]

ومن الشبهات التي اثارها المستشرقون على الاسلام في القرون الوسطى أنه دين يتيح لاتباعه الفرصة لاشباع شهواتهم الجنسية منها بشكل خاص، وكثيراً ما كانوا يحسبون أنه لا حدود لعدد الزوجات التي يرغب الرجل بالزواج منهن، ولا يمنعه من ذلك سوى قدرته المادية، ومع علم من ذهب الى ذلك بان الدين الاسلامي قد اباح الزواج باربع نساء فقط،

ولكنه غالط نفسه وذكر بان عدد النساء يصل الى سبع أو عشر ، وكثيراً ما فسروا آيات قرآنية بخلاف تفسيرها الحقيقي على أنها توحي الى توجه المسلمين نحو الجنس وشهوتهم المفرطة، وتلك الآيات براء مما ذهبوا اليه.[30]،ومن خلال هذا التفسير يتبين بانهم قد اسقطوا أحكاماً مسبقة لا اصل لها في العقيدة الإسلامية.

يضاف الى ذلك فأن المستشرقين قد اثاروا إشكالا آخراً متمثلاً بتأثر الاسلام بالديانة المسيحية وان النبي محمد (ص) هو المسيح الدجال، وان الاسلام هو هرطقة مسيحية [31]، بل ان الإسلام اسوأ من ذلك ومن الواجب اعتبار المسلمين كفرة، وعلى وفق هذا التجني الذي وسم إتجاه الاستشراق في العصور الوسطى فان محمداً (ص) ليس بنبي وبما انه أسس ديناً جديداً لذلك يعد مساهماً ايجابياً في مساندة قوى الشر.[32]

اتبع المستشرقون منهجاً آخر اعربوا فيه عن حقدهم الدفين ضد الاسلام ألا وهو منهج تحريف الحقائق، من بين هؤلاء هو المستشرق جولد تسهير الذي طعن برواة الحديث النبوي الشريف بوصفه اياهم بانهم مجروحين وكذابون إذ قال بان:- ((زياد البكائي (وهو احد رواة الحيث)، كان كذوباً))، على الرغم من علو منزلته في الحيث بشهادة وكيع الذي يعد أحد أعمدة الجرح والتعديل. فلو نظرنا الى اصل النص الذي حرفه جولد تسهير: ((جاء في التاريخ الكبير للامام البخاري : وقال ابن عقبة السدوسي عن وكيع : وهو (زياد بن عبد الله البكائي اشرف من أن يُكذب))).[33]

وجاء ول ديورانت (Will Durant) بتحريف آخر ، وهذه المرة عن النبي محمد (ص) نفسه فق قال عنه : ((وقد أعانه نشاطه وصحته على أداء واجبات الحب والحرب، ولكنه أخذ يضعف حين بلغ التاسعة والخمسين من عمره، وظن أن يهود خيبر قد دسوا السم في اللحم قبل عام من ذلك الوقت، فأصبح بعد ذلك الحين عرضة لحميات ونوبات غريبة....)).[34]

ومن المناهج التي وسمت كتابات كُثر من المستشرقين استخدام منهج التشكيك والنفي الاعتباطي، فبروكلمان على سبيل المثال لا يشير الى دور اليهود في تأليب الأحزاب ومحاربتهم للرسول محمد (ص)، ولا الى نقض بني قريضة عهدها مع الرسول (ص) في اشد ساعات محنته، ولكنه قال: ((ثم هاجم المسلمون بني قريضة، الذين كان سلوكهم غامضا على كل حال)).[35]

ليس الشك والنفي الاعتباطي وحدهما ، بل الاعتماد على الروايات الضعيفة الشاذة التي لا تصمد أمام النقد، لقد عبّر عن ذلك الدكتور جواد علي رحمه الله بقوله : ((لقد أخذ المستشرقون بالخبر الضعيف في بعض الاحيان وحكموا بموجبه واستعانوا بالشاذ والغريب فقدموه على المعروف المشهور، استعانوا بالشاذ ولو كان متأخراً أو كان من النوع الذي استغربه النَقَدَه واشاروا الى نشوزه، تعمدوا ذلك لان هذا الشاذ هو الاداة الوحيدة في إثارة الشك)). (36)

وفي سياق منهج الشك نفسه يقودنا الكلام عن موقف بعض المستشرقين من القرآن الكريم كمصدر اساسي من مصادر السيرة النبوية ، وذلك ان اعتماد القرآن الكريم في هذا المجال يُعد سيف ذو حدين، أحدهما السلبي الذي يقضي بنفي الكثير من أحداث السيرة مادامت لم ترد في القرآن الكريم، وكأن القرآن كتاب تاريخي خاص بتفاصيل حياة محمد (ص)، وهذا ساعد المستشرقين في انتقاء مُغرض وهدّام على الشك أو نفي كل رواية لايوجد لها جذر في القرآن، ولاسيما اذا كان في الرواية تمجيد للنبي محمد (ص)، أو اذا كان نفيها يتلائم مع توجهات بعض المستشرقين، على سبيل المثال نجد شبرنجر يرى ان اسم النبي (ص) ورد في اربع سور من القرآن، هي آل عمران والاحزاب ومحمد والفتح ، وكلها سور مدنية، ومن ثم فأن لفظة (محمد) لم تكن اسم للرسول قبل الهجرة ، وانما أتخذه بتاثير قراءته للانجيل واتصاله بالنصارى. (37)

ومن المفاهيم الاخرى التي حاول بعض المستشرقين تعميمها على الدعوة الإسلامية، تجريدها من العالمية وتحجيم حدودها ووصفها بالاقليمية محاولة منهم عدم شرعية الفتوحات الاسلامية وتعريتها من المباديء الانسانية التي سعت الى نشرها في الافاق.

ومن ذلك ما ذُكر بشأن التخطيط المسبق لكل خطوات الرسول (ص) فقد اشار يوليوس فلهاوزن (Julius Wellhausen) الى ان الدعوة الاسلامية لم تنتقل الى المرحلة العالمية الا بعد ان اتاحت لها الظروف وان الرسول (ص) لم يفكر بذلك من قبل. (38)

واضاف فلهاوزن بان الرسول (ص) لم يلجأ الى العنف في مكة وانما تحول الى استخدام القوة بعد ان شكل دولة في المدينة وتجمع حوله المقاتلون، وصف ذلك بالقول : ((لقد كان في وسع محمد عن طريق عقيدة تتجاوز دائرة معتقديها، الدائرة التي ترسمها رابطة الدم ان يحطم رابطة الدم هذه لانها لم تكن بريئة من العصبية وضيقها، ولا كانت ذات صبغة خارجية عارضة، هذا هو الذي جعلها لا تتسع لقبول عنصر غريب عنها ، ولكن محمداً

لم يرد ذلك، ومن الجائز ايضا انه لم يكن يستطيع ان يتصور امكان رابطة دينية في حدود غير حدود رابطة الدم)).[39]

ورفض المستشرق السير توماس ارنولد (Thomas Walker Arnold) في كتابه (الدعوة الى الإسلام) هذه الرؤية الخاطئة فقال : ((من الغريب أن ينكر بعض المؤرخين أن الإسلام قد قصد به مؤسسه في بادىء الأمر أن يكون دينا عالميا برغم هذه الآيات البيّنات))[40] ومن بينهم السير وليم موير (William Muir) اذ قال : ((ان فكرة عالمية الرسالة قد جاءت فيما بعد، وان هذه الفكرة وعلى الرغم من كثرة الايات والأحاديث التي تؤيدها، لم يفكر فيها محمد نفسه، وعلى فرض انه فكر فيها فقد كانت الفكرة غامضة، فان عالمه الذي يفكر فيه، انما كان بلاد العرب، كما ان هذا الدين الجديد لم يهيأ الا لها، وان محمداً لم يوجه دعوته منذ بُعث الى ان مات الا للعرب دون غيرهم، وهكذا نرى ان نواة عالمية الاسلام قد غرست ولكنها قد اختصرت ونمت بعد ذلك فانما يرجع ذلك الى الظروف والاحوال اكثر منه الى الخطط والمناهج)).[41]

الخاتمة :-

بعد ان تابعنا البحث في هذا الموضوع تبين لنا مايلي :-

1) تعد المخطوطات الإسلامية الاساس الذي انطلق منه المستشرقون لجمع مادتهم العلمية حول التاريخ الاسلامي.
2) على الرغم من سبق الغربيين للعرب في مجال الاهتمام بالمخطوطات إلا أن المسلمين قد عرفوا فن التعامل مع المخطوطات في وقت سابق للغربيين وبشهادة المنصفين من الغربيين انفسهم.
3) تعددت طرق حصول المستشرقين على المخطوطات بحسب الظروف التي أحاطت بهم اضافة الى طبيعة الظروف التي مرت بها الدولة الاسلامية.
4) . تعلم الاوربيون اللغة العربية كمدخل لدراسة المخطوطات الاسلامية وخصصوا لذلك كراسي في الجامعات لتعليم اللغة العربية خاصة واللغات الشرقية عامة.
5) اتبع المستشرقون مناهجا مختلفة في دراستهم للتاريخ الاسلامي وبالتالي اثر ذلك في الاحكام التي اصدرها حول أحداث التاريخ.

الهوامش :-

(1) احصائية معهد المخطوطات العربية ، العدد 23 ، ج2 ، 1977م .

(2) عبد الستار الحلوجي ، المخطوطات والتراث العربي ، ص14، 15.
(3) برجستراتر ، جوتهلف ، اصول نقد النصوص ونشر الكتب ، ص11.
(4) الجاحظ ، ابو عمر عثمان بن حجر ، رسائل الجاحظ ، ج1 ، ص338.
(5) محمود المصري ، تأصيل قواعد تحقيق النصوص ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، ص46 ومابعدها.
(6) عبد السلام هارون ، تحقيق ونشر النصوص ، ص8-14.
(7) المرجع نفسه ، ص22.
(8) صورية الخمليشي ، ترجمة النص العربي القديم وتأويله عند ريجس لاشير ، ص17.
(9) صلاح الدين المنجد ، قواعد تحقيق المخطوطات ، ص43.
(10) رائد امير عاشور ، المستشرقون وجهودهم في خدمة التراث العربي الاسلامي ، مجلة اداب الرافدين ، ص44.
(11) رائد امير عاشور ، المصدر نفسه ، ص40.
(12) رائد امير عاشور ، المستشرقون الالمان وجهوهم تجاه المخطوطات العربية ، ص10.
(13) المصدر نفسه ، ص10.
(14) المصدر نفسه ، ص12.
(15) محمد عوني عبد الرؤوف ، جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة ، ص23.
(16) برمستراسر ، اصول نقد النصوص ونشر الكتب ، ص11.
(17) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(18) نذير حمدان ، الرسول في كتابات المستشرقين ، ص17-19.
(19) سامي الصفار ، دور المستشرقين في خدمة التراث الاسلامي ، مجلة المنهل ، العدد 571 ، سنة 1401هـ/1989م.
(20) دياب ، تحقيق التراث ، ص180 ؛ رائد امير عبد الله ، المستشرقون وجهودهم في خدمة التراث العربي الاسلامي المخطوط ، ص14.
(21) محمد ياسين عريبي ، الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي ، ص94 ؛ رائد امير عبد الله ، المصدر السابق ، ص14.
(22) طارق سري ، المستشرقون ومنهج التزوير ، ص.
(23) المسيري ، اثر الحضارة الاسلامية على اوربا ، ص65.
(24) جاد محمد أحمد ، اثر الحضارة الاسلامية في الحضارة الاوربية ، ص237.
(25) محمد ياسين عريبي ، الدوافع الدينية للاستشراق ، ص97.
(26) المصدر نفسه ، ص98.
(27) عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ص87.



(28) نعمان الجعيفري ، العيوب المنهجية في سياق الروايات الحديثة عند المستشرق مونتغمري وات ، ص208.

(29) مونتغمري وات ، محمد في مكة ، ص81.

(30) الشرقاوي ، الاستشراق في الفكر الاسلامي المعاصر ، ص60.

(31) اول من ذكر بان الاسلام هرطقة مسيحية هو يوحنا الدمشقي في القرن الثاني للهجرة ، ينظر : يوحنا الدمشقي والهرطقة المئة ، مكتبة الكتب المسيحية ، 2017م.

(32) الشرقاوي ، المصدر السابق ، ص61.

(33) عبد العظيم الديب ، المصدر السابق ، ص28.

(34) المصدر نفسه ، ص32.

(35) تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص53-54.

(36) تاريخ اليهود في بلاد العرب ، ص145-146.

(37) ينظر : جواد علي ، تاريخ العرب ، 78/1.

(38) فلهاوزن ، الدولة العربية وسقوطها ، ص4.

(39) يستشهد ارنولد بالايات التالية :

الانبياء/الاية 107 ، النور/الاية 7 ، الفرقان/ الاية 1 ، يس/ الاية 69-70 ، الصف/ الاية 9.

(40) The Caliphate , pp. 43-44

(41) حياة محمد ، ص73.

المصادر:-

- أحمد ، جاد محمد، اثر الحضارة الاسلامية في الحضارة الاوربية ، مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، العدد 50 ، سنة 2013هـ/1401م.
- ارنولد توماس ، الدعوة الى الاسلام ، الدار المصرية للطباعة ، 1984م.
- بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين ، دار العلم للملايين، بيروت ، 1985م.
- بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الاسلامية ن ترجمة نبيه امين فارس ، بيروت ، 1968م.
- الجاحظ، ابو عمر عهثمان حجر ، رسائل الجاحظ ، تحقيق عب السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1384هـ/1964م.
- الجعيفري، نعمان، العيوب المنهجية في سياق الروايات الحديثة عند المستشرق مونتغمري واط ، مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية ، جامعة الكويت ، العدد 97.
- جوتهولف، براجستراسر، اصول نقد النصوص ونشر الكتب، دار الكتب المصرية، القاهرة ، 1995م.

- الحلوجي، عبد الستار ، المخطوطات والتراث العربي ، الدار المصرية ، القاهرة ، 2002م.
- حمدان، نذير، الرسول في كتابات المستشرقين، مطبوعات رابطة العالم الاسلامي، د.ت.
- الخمليشي، حورية، ترجمة النص العربي القديم وتأويله عند ريجيس بلاشير ، منشورات الاختلاف ، دار الامان ، الرباط ، د.ت.
- الديب، عبد العظيم ، المستشرقون والتراث ، الوفاء للطباعة ، مصر ، 1413هـ/1992م.
- الشرقاوي، محمد عبد الله ، الاستشراق في الفكر الاسلامي المعاصر ، القاهرة ، د.ت.
- الصفار، سامي، دور المستشرقين في خدمة التراث الاسلامي، مجلة المنهل لسنة 1409هـ/1989م.
- طارق، سري، المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الاسلامي،القاهرة، 2006م.
- عبد الرؤوف، محمد عوني ، جهود المستشرقين في التراث العربي بين الحقيقة والترجمة، القاهرة ، 2004م.
- عريبي، محمد ياسين، الاستشراق وتغريب العقل التأريخي العربي، المجلس القومي للثقافة، الرباط ، 1991م.
- عريبي، محمد ياسين ، الدوافع الدينية للاستشراق في نشأته الثانية والمتجددة في مراحل تطوره ، مجلة الفكر الاسلامي ، السنة التاسعة عشر ، 1409هـ
- علي جواد ، تاريخ العرب في الاسلام ، تقديم فرحان صالح ، د.ت.
- فلهاوزن ، يوليوس ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، دار العلم للملايين ، ط5 ، 1968م.
- المصري، محمود ، تأصيل قواعد النصوص ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، 1426هـ/2005م.
- المنجد، صلاح الدين، المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، دار الكتاب الجديد ، ط1 ، 1978م.
- موير ، السير وليم ، حياة محمد ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة ، د.ت.
- هارون، عبد السلام، تحقيق النصوص ونشرها ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1998م.
- وات، مونتغمري، محمد في مكة، ترجمة شعبان بركات ، بيروت ، د.ت.



Islamic manuscripts are an important source in Orientalist studies of history Islamic

Prof Dr. Hatem Karim Al-Yaqoubi

College of Arts - University of Kufa

Keywords: Manuscripts. Islam, orientalists, heritage, history

Summary:

Islamic manuscripts are of great importance in preserving the Islamic heritage because of the valuable information they contained, which carried within them the types of knowledge and Islamic sciences. Europe.

The Orientalists had a major role in the emergence of many Islamic manuscripts into the field of research and investigation as a result of the presence of these manuscripts in their libraries after they obtained them in different ways, as we will see through this research, God willing.

Based on this importance, the researcher decided to choose this research marked (Islamic manuscripts are an important source in the orientalists' studies of Islamic history).